(03) بهجة المحافل بالكلام الواضح في شرح حديث ((نِعْمَ المالُ الصالِحُ لِلرَّجُلِ الصالِحِ))

2025-12-12

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط، وكاشف الضر بعد القنوط، الذي خلَق الخلْق، ووسّع الرزق، وأفاض على العالمين أصناف الأموال، وابتلاهم فيها بتقلّب الأحوال، وردّدهم فيها بين العسر واليسر، والغنى والفقر، والطمع واليأس، والثروة والإفلاس، والعجز والاستطاعة، والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود، والأسف على المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسّع والإملاق، والتبذير والتقتير، والرضا بالقليل واستحقار الكثير، كل ذلك ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، وينظر أيّهم آثر الدنيا على الآخرة بدلاً، وابتغى عن الآخرة عدولاً وحِوَلاً، واتّخذ الدنيا ذخيرة وخولاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين ومولاهم، خوّل عباده من الأموال ما به تقوم مصالح دينهم ودنياهم، وجعل لتحصيلها وتصريفها طرقاً شرعها لهم وبينها وهداهم، فأذن لهم في اكتساب ما تيسّر من الأموال، وأمرهم أن يكون مصدرها من الحلال، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. المَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ، وَهَادِيًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ فِي ذَاتِ اللهِ، فَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ عَلَى المُسلِمِينَ، القائِلُ فيما رواه الترمذي: ((اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ)).

يا أمّة المصطفى يا أشرف الأممِ * هذا نبيّكُمُ المخصوصُ بالكرمِ

هو الرؤوف الرحيم الطاهرُ الشّيَمِ * إن شِئتُمُ أن تنالوا رِفْعةً وغِنًى

صلوا عليه لعلّ اللهَ يرحمُنا

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد النبيّ الأوّاه. وعلى آله الحائزين من الشرف غاية مجده وعلاه. وصحابته الممدوحين في كتاب الله. {مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرِيٰهُمۡ رُكَّعاٗ سُجَّداٗ يَبۡتَغُونَ فَضۡلاٗ مِّنَ ٱللَّهِ}، صلاة نسألك اللهم بسرّها أن تهدينا بهداه. وتفيض بها علينا بحر كرمه ونداه. وتجعلنا بها ممّن حاز في الدارين أوفر حظّ من نيل عطائه الجزيل وجداه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. نعود بكم اليوم إلى السيرة النبوية العطرة، لنطل معكم من خلال هذا الشهر جمادى الثانية، على حَدَث أعطانا فيه رسول الله ﷺ حديثا هو أساس التعامل المالي في الإسلام. أمّا الحَدَث؛ فهو تكليف رسول الله ﷺ الصحابيَّ الجليل سيّدنا عمرو بن العاصي رضي الله عنه في جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة بقيادة جيش في سرية تُسمّى: (سرية ذات السلاسل)، قِوامه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، لمواجهة قبائل موالية لدولة الروم بدأت تُعِدُّ العُدة لمهاجمة المدينة المنوّرة. وأمّا الحديث الذي جاء عن المال بالمناسبة؛ فهو أنّ رسول الله ﷺ قال لسيّدنا عمرو بن العاصي وهو يعيّنه قائدا: ((يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ، فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ وَيُسْلِمُكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً صَالِحَةً مِنَ الْمَالِ))، ثم قال له ﷺ: ((يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ)). أيّها المسلمون. نقف عند هذا الحديث الشريف، في إطار توظيف السيرة النبوية في عملية الإصلاح، وحينما نذكر عملية الإصلاح إذن هناك فساد؛ نَعَم، لا يُنكِر أحدٌ أنّ الفساد المالي موجود في المجتمع، كما لا ينكر أحدٌ أنّ بعض الناس فاسدون ماليًّا، والدنيا لابدّ منها لإقامة الدين، والتديّن لا يعني تَرْك الدنيا أبدًا؛ بل أيُّ عملٍ يقوم به المسلم في نطاق الحلال هو عبادة، ولا رهبانية في الإسلام؛ وأساس ذلك أمران: المال الصالح، والمرء الصالح.

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا * وأقبح المرءَ في الدنيا بلا دين

فما هو المال الصالح حتى نحقّقه لأنفسنا؟ أيّها المسلمون. المال لا يكون صالحا للاستعمال الشرعي إلا بشروط أربعة: الشرط الأوّل: أن يكتسبه صاحبه من الحلال؛ قال تعالى في سورة البقرة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِے ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ}، وفي صحيح ابخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَيَأْتِيَنَّ علَى النَّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي المَرْءُ بما أخَذَ المالَ، أمِنْ حَلالٍ أمْ مِن حَرامٍ))، ولا شك أنّ ذلك قد ظهر في زمننا؛ بل إنه السائد الظاهر؛ فبسبب المال الحرام اختلطت الأوراق، فلا نكاد نميّز الحلال من الحرام، وقَلَّتْ الأرزاق، فانتشر الإفلاس، وساءت الأخلاق، فأصبح الحلال هو ما حلَّ بأيدينا، وفسدت الأذواق، فلا نتذوّق حلاوة الحلال من مرارة الحرام. أيّها المسلمون. الشرط الثاني: أن ينفقه صاحبه في الحلال، فكثير من الناس حينما تنصحه بعدم تضييع ماله يواجهك بالعبارة التالية: (هذا مالي وأنا حر فيه)؛ والإسلام وإن سمح للإنسان بامتلاك ما شاء من الأموال، فلا يعطي له الحرية المطلَقة في التصرّف فيه كيف ما شاء؛ ولذلك منع إنفاق الأموال على الحرام، بل حرّم إنفاق الأموال حتى على الحلال بشكل مجاوِز للحدود المعتبرة شرعا وعُرفا؛ لأنه بذلك يكون تبذيرا وإسرافا، والله تعالى يقول في سورة الإسراء: {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراًۖ اِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ}، ويقول سبحانه في سورة الأعراف: {وَلَا تُسْرِفُوٓاْۖ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَۖ}. أيّها المسلمون. الشرط الثالث: أن يؤدّي منه صاحبُه حقوقه المالية، وقد فصّل لنا الإسلام هذه الحقوق المالية تفصيلا تامًّا؛ فأمر بأدائها ومنَع من تضييعها. وأوّل حق في المال، هو النفقة على النفس؛ فلا يجوز للمسلم أن يترك نفسه تموت جوعا، ليدّخر المال، فيكون بخيلا حتى على نفسه. ثم النفقة على الزوجة والأولاد والوالديْن، والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ))، وفي رواية: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أن يضيّع من يعول))، وفي

رواية: ((كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّعَ من يقوتُ)). ثم الوفاء بالتزامات العقود والمعاملات، وأداء الديون والأمانات؛ ويكفي في هذا أن نعلم أنّ النبي ﷺ كان لا يصلّي على من مات من أصحابه إذا فاجأه الموت وعليه ديون لم يؤدّها، فيقول ﷺ: ((صلّوا على صاحبكم)) وينصرف، حتى نزل قوله تعالى في سورة الأحزاب: { ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُومِنِينَ مِنَ اَنفُسِهِمْ ۖ }، فكان ﷺ بعد ذلك يسأل عن الميّت، فإذا كان عليه دَيْن لا يصلى عليه حتى يؤدّيه عنه. ثم النفقة على ما في مِلكه، من البهائم والحيوانات، فلا يجوز أن يحبسها بالجوع، وقد دخلت امرأة النار في هِرّة حبستها على الجوع حتى ماتت، كما دخل رجل الجنّة لأنه أعتق كلبا من الموت عطشا، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ. ثم إذا ما بقي ممّا سبق بقية، دار الحول عليها، وجبت فيها زكاة الأموال، كما تجب عليه زكاة الأبدان، وهي زكاة الفطر بعد رمضان؛ يقول رسول الله ﷺ فيما روى ابن خزيمة والحاكم وصححه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، رضي الله عنهما: ((إذا أَدَّيْتَ زكاةَ مالِك، فَقَدْ أَذْهَبْتَ عنك شَرَّه))، ويقول ﷺ فيما رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما: ((لم يمنَعْ قومٌ زكاةَ أموالِهم إلَّا مُنِعوا القطْرَ من السَّماءِ ، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا))، وفيما روى الطبراني بسند رجاله ثقات: ((ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين)). أيّها المسلمون. الشرط الرابع: أن لا يصدَّ المالُ صاحبَه وألا يمنعَه عن أداء واجباته؛ سواء واجباته نحو نفسه، مثل أداء الصلوات في وقتها، أو نحو أولاده، من التربية والتعليم، أو نحو والديه، من البر والطاعة، أو نحو عائلته، من صلة الأرحام، أو واجباته، نحو إخوانه من المسلمين، خصوصا أو من الإنسانية عموما. فما قيمة مال الدنيا كلها لمن ضيّع صَلَواتِه، ومنع صِلاتِ أهله وإخوانه؟ فقد خسر الربح ورأس المال؛ مغبون من حَالَ مالُه بينه وبين واجباته، مغبون من لم يُصَلِّ بسبب ماله في الوقت المناسب صلواتِه، ولم يَصِلْ بصلة الرحم عائلاتِه، أيّها المسلمون. هذا هو المال الصالح؛ فمن هو المرء الصالح؟ لا يكون الشخص صالحا للاستعمال الأخلاقي للمال إلا

بأربع صفات أيضا: الصفة الأولى: أن يكون صاحب المال صالحا في عقله؛ بأن لا يكون نقصٌ أو خللٌ في عقله؛ مثل: السَّفَه والعته والصغر، فلا يجوز دفْع الأموال إلا لمن بلغ سنّ الرشد عاقلا؛ يقول الله تعالى في سورة النساء: {وَلَا تُؤتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ امْوَٰلَكُمُ ٱلتِے جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَماًۖ}، ويقول سبحانه في سورة النساء: {وَابْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمِيٰ حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنَ اٰنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداٗ فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمُۥٓ أَمْوَٰلَهُمْ}. الصفة الثانية: أن يكون صاحب المال صالحا في قلبه؛ فمَن كان الشعور في قلبه مليئا بالكراهية والبغضاء، والحسد والبخل، والشح والطمع والشَّرَهْ؛ فهو لا شك سوف يوظِّف ماله في إضرار مَن يكره ويبغض، وسوف يُحَوِّل حِقده وحسده إلى ممارسة لإيذاء محسوده، وسوف لن ينفق المال بسبب بخله إلا على نفسه؛ بل سوف لن ينفقه لشحه وطمعه وشرهه حتى على نفسه؛ لأنه بماله مع فساد قلبه سيتحوّل إلى طاغية، والله تعالى يقول: {كَلَّآ إِنَّ ٱلِانسَٰنَ لَيَطْغِيٰٓ أَن رَّءِاهُ ٱسْتَغْنِيٰٓۖ}. أيّها المسلمون. الصفة الثالثة: أن يكون صاحب المال صالحا في عمله؛ لأنّ العمل الصالح منه يتولّد المال الصالح؛ وإلى هذا يشير النبي ﷺ إذ قال لسيّدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((أطِبْ مطعمَك تكن مستجاب الدعا)). الصفة الرابعة: أن يكون صاحب المال مصلحا لغيره؛ فصاحب المال كثيرا ما يُسْمَع قولُه، عكس الفقير الذي كثيرا ما يُصْفَع لقوله؛ والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحثّ على توظيف الأموال في الدعوة؛ يقول الله تعالى في سورة النساء: {فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۖ وَكُلّاٗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنِيٰۖ}. أيها المسلمون. اتقوا الله تعالى، وأجملوا في طلب الأموال، أطلبوها على وجه مباح حلال، فإنكم لن تبقوا للمال أبداً، إنما المال عارية بين أيديكم، وأنتم عارية في هذه الدنيا، فإمّا أن تنتقلوا عنه وتتركوه وأنتم أزهد الناس فيه، وإمّا أن يُسلب من أيديكم وأنتم أحرص الناس عليه، فتبوّؤا بالحسرة والندامة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المفلحين، وأن يسلك بنا طريق الصالحين، وأن يحفظنا ويحفظ بلادنا من ظُلم الظالمين، وعدوان

المعتدين. اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمّن سواك. اللهم حبّب إلينا الحلال من الطيّبات، وكرّهْ إلينا الحرام من الخبائث والمنكرات. اللهم لا تجعل لنا نصيبا في الحرام، وحُلْ بيننا وبينه حتى نلقاك يا رب العالمين. اللهمَّ ارزقنا رزقاً واسعاً حلالاً طيّباً، واستجب دعاءنا من غير ردٍّ، ونعوذ بك من الفضيحتَيْن؛ الفقر والدَّيْن، اللهمَّ يا رازق السائلين، ويا راحم المساكين، يا ذا القوّة المتين، ويا وليّ المؤمنين، ويا خير الناصرين، يا غيّاث المستغيثين، ارزقنا يا أرحم الراحمين. اللَّهُمَّ إنّا نعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ. اللهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهْمومين، ونَفِّسْ كَرْبَ المَكْروبين واقْضِ الدَّيْنَ عنِ المَدينين، واشْفِ مَرْضَى المسلِمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ